وما سواها (394)

إبن رشد في الميزان!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

من الواضح أن التقديس والتمترس في حالة ماضوية , نرتقي بها إلى مقامات ما بعد المثالية والإعجازية , هو السلوك السائد في مسيرة الأجيال , والمترسخ في الوعي الجمعي للأمة

من الواضح أن التقديس والتمترس في حالة ماضوية , نرتقي بها إلى مقامات ما بعد المثالية والإعجازية , هو السلوك السائد في مسيرة الأجيال , والمترسخ في الوعي الجمعي للأمة.

وهناك العديد من الأسماء بمختلف مجالات إبداعها ونشاطاتها قد تقدّست , وحسبناها لا ينجب الزمان مثلها أبدا , وكأن أرحام الأمة عقمت وعقولها إنمحقت , ومن هذه الأسماء الفقيه العلامة الفيلسوف "إبن رشد".

الذي حوّله الفلاسفة إلى حالة ما بعدها ولا قبلها صيرورة فكرية وإبداعية , وهذا ليس تقليلا من شأن الرجل , بل بحثت فيه وكتبت كثيرا عنه , ولكل مكان وزمان متطلباته.

أولا: نقد إبن رشد!!

ما إشتهر به إبن رشد , أن رد على الغزالي , ومن كتبه المشهورة :(فصل المقال , تهافت التهافت , بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وغيرها.

ما إشتهر به إبن رشد , أن رد على الغزالي , ومن كتبه المشهورة :(فصل المقال , تهافت التهافت , بداية المجتهد ونهاية المقتصد) وغيرها

ورأى في التأويل ما رأى وقال لا إجماع في التأويل , وما طرحه لم يكن أصيلا بل سبقه إليه عدد من أفذاذ الأمة في الأندلس والشرق.

ويبدو أن إبن رشد رغم خبرته الفقهية والفلسفية والسياسية لم يفلح في إبتكار الوسيلة الكفيلة بالتعبير عن أفكاره , فتهاوى من فقيه الفقهاء إلى طريد مكفَّر , وربما زنديق وأحرق ما أحرق من كتبه.

ويبدو أن إبن رشد رغم خبرته الفقهية والفلسفية والسياسية لم يفلح في إبتكار الوسيلة الكفيلة بالتعبير عن أفكاره , فتهاوى من فقيه الفقهاء إلى طريد مكفَّر , وربما زنديق وأحرق ما أحرق من كتبه

ومات حزينا متألما رغم ما يُقال عن رد الإعتبار له في أواخر عمره.

ولا أريد الدخول بأسباب محنته وما حل به فقد كُتب عنها الكثير, غير أنه فشل في ترجمة أفكاره , ولم يتمكن من توريث رؤاه , ويربي تلامذة يحملون رسالته , ولم يهتم كغيره من عقول الأمة بتعليم الآخرين , وإنما جميعهم كانوا يحتكرون العلم لأنه يقربهم إلى الكراسي , ويجتذب الغنائم , والمكارم والجاه , فكان بضاعة غالية وعزيزة.

أي أنه ما نجح في تثمير أفكاره في زمانه , وبعد أكثر من ثمانية قرون يأتينا مَن يرى أن إحياء مدرسة إبن رشد ستكون الجواب على تداعيات وإنكسارات الأمة , وكأنه يختصر المشكلة بالدين وحسب.

وعندما تسألهم عن العلم , يتسمرون بوجهك غاضبين.

الأمة داؤها بإهمال العلم , ولن ينفعها ألف إبن رشد وإبن رشد , الغرب إطلع على فلسفة اليونان وتعلمها بواسطته لأنه كان الشارح البارع لها.

فهل لنا أن نرفع رايات العلم؟!!

"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"!!

ثانيا: إبن مسرة وإبن رشد!!

إبن مسرة هو أبو عبدالله محمد بن مسرّة الجبلي , (883 – 931) ميلادية , مفكر ومتصوف أندلسي , وأول فلاسفة الأندلس ومفكر أصيل فيها.

وكان لمنطلقاته دورها في مسيرة الفكر والفلسفة في بلاد الأندلس فيما بعد , وكأنه كان القادح الذي أذكى جذوة الإدراك المعرفي العميق.

وفي سنة (953) ميلادية , أي بعد (22) سنة من وفاته , أحرق الخليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله) كتبه ولاحق أتباعه , لأسباب طائفية وسياسية.

تأثر به إبن رشد العربي القرطبي (1126–1198) ميلادية , وهو ثائر عقلي وفيلسوف لبيب , عمل جاهدا لإحياء العلوم العقلية , ورفع رايات يعقلون ويتفكرون ويتدبرون , فحاول التوفيق ما بين الشريعة والحكمة , وتحرير العقل من أصفاد التبعية , والإذعانية والخنوع والجمود , ودافع عن العقل ووقف ضد الساعين لتدميره وإلغاء دوره , وذاد عن الفلاسفة فرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي (1058 – 1111) ميلادية , بكتاب تهافت التهافت , وتواصل بنشاطاته الفكرية لإستنهاض العقل العربي من غفوته وغفلته , وإطلاق جوهر ما فيه من المكنونات الحضارية.

ويُعدّ إبن مسرة من رواد الفلسفة والعلوم العقلية في بلاد الأندلس , وكان يحاول التوفيق بين الشريعة والفلسفة , وله منهجه في التأويل الذي كان يحسبه بحاجة لذوي عقول فاعلة , ترى باطن النص , وأتاح للعامة النظر في ظاهر النص وحسب , لكي لا يُساء فهم التأويل.

وكان معتزليا ومعتزلا في صومعته في جبل قرطبة , وعندما تم تكفيره غادر إلى مكة , وبعد مدة عاد إلى تلك الصومعة حتى وفاته , وبقي أتباعه يتداولون أفكاره وكتبه , التي أحْرِقَ معظمها بعد وفاته بما يقرب من ربع قرن.

ويبدو أن إبن رشد الذي ولد عقب وفاته بنحو (195) سنة , قد تأثر بمنطلقاته , وعبَّر عنها في طروحاته وكتبه , فموضوع التأويل وإعمال العقل في النص القرآني والتوفيق بين الفلسفة والدين لم تكن من إبداعات إبن رشد لوحده , وإنما من أفكار إبن مسرة , وأبن رشد أحياها وجاهد في سبيلها , ولاقى ذات الإتهام وأحْرِقَت كتبه أيضا.

فلربما يمكن القول أن إبن رشد خريج مدرسة إبن مسرة , والحامل لراية أفكاره وتصوراته ومحاولاته في التقريب بين الفلسفة الدين , وهذا قد يكشف عن منبع التوجهات الرشدية , التي تنسب إليه مقطوعة عن جذورها الأصلية.

وهكذا تتفاعل العقول وتتلاقح لتصنع مسارا منيرا ينفع الأجيال ويزودها بمناعة ضد الظلام والضلال.

ثالثا: إبْنُ رُشْدٍ وأُمَّتِي!!

فَيلسوفٌ مِنْ بلادِ العَرَبِ ... نوَّرَ العقلَ بِفِكْرٍ يَعْرُبِيْ

وطبيْبٌ وفقيْهٌ لامِعٌ ... ويَرى اللُبَّ صِراطَ المَوْكِبِ

وسَليلٌ لعَليمٍ نابِهٍ ... ومُنيرٌ وكَنجْمِ ألْمَعِبِ

جدُّهُ عاشَ شِراعاً للعُلى ... وسِراجاً في دَواجي الغَيْهَبِ

زَلزَلَ الأذْهانَ أهْداها الحِجا ... وبِهِ فازَتْ بِعِزِّ المَطْلَبِ

قُرْطُبِيٌّ إبنُ رُشدٍ أحْمَدٌ ... فَلكِيٌّ حاذِقٌ بالأصْعَبِ

نوَّرَ العَقلَ بِعِلمٍ ساطِعٍ ... وبأفْكارٍ ورأيٍ أثْلَبِ

إبنُ رُشدٍ عَرَبِيٌّ خالدٌ ... وبها دامَ أصيلَ المَنْسَبِ

أي أنه ما نجح في تثمير أفكاره في زمانه , وبعد أكثر من ثمانية قرون يأتينا مَن يرى أن إحياء مدرسة إبن رشد ستكون الجواب على تداعيات وإنكسارات الأمة , وكأنه ينتصر المشكلة بالدين وحس

الأمة داؤها بإهمال العلم , ولن ينفعها ألف إبن رشد وإبن رشد , الغرب إطلع على فلسفة اليونان وتعلمها بواسطته لأنه كان الشارع البارع لها

فهل لنا أن نرفع رايات العلم؟!! "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"!!

إبن مسرة هو أبو عبدالله محمد بن مسرّة الجبلي , (883 – 931) ميلادية , مفكر ومتصوف أندلسي , وأول فلاسفة الأندلس ومفكر أصيل فيها

في سنة (953) ميلادية , أي بعد (22) سنة من وفاته , أحرق الخليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله) كتبه ولاحق أتباعه , لأسباب طائفية وسياسية

وحَفيظٌ لأروعٍ باذخٍ وفَقيهٌ مالكيٌّ المَذهَبِ
شارحُ الأسرارِ في فِكْرِ الوَرى جامعُ الفِكْرِ بسَطرٍ أعْجَبِ
مِنْ أرِسْطو جاءَ نَهْجاً واضِحاً يَسّرَ الفِهْمَ بقولٍ أقْرَبِ
سادَ فِكْرٌ واسْتَفاقَ المُدْتَوى وإذا العَقلُ كحَدِ القَرْضَبِ
جَعَلَ العَقلَ رَسولاً للهدى وبهِ أبْدى كُنوزَ الأعْجَبِ
قدَّمَ الأفكارَ للخَلقِ الذي بظَلامٍ وضَلالٍ أعْضَبِ
كانتِ الأقْوامُ أتباعَ الهَوى ونُهاها كخَنوعٍ أعْطَبِ
وإذا فَجْرٌ أتاها راشداً كدَليلٍ لمَسارٍ أرْحَبِ
وكذا الغَرْبُ برُشْدٍ إهْتَدى لابْتكارٍ وافْتكارٍ أعْذَبِ
والغزاليُّ بها ما إنْثنى كذَّبَ النَهْجَ بكُفرٍ أنْكَبِ
بكتابٍ هافِتٍ كُنهَ الردى زعَمَ الظنَ بسُوءِ المَأرَبِ
بَعْدَ قرنٍ جاءَ ردٌّ فاجِمٌ فنَّدَ اللغْطَ برَجْمِ الأغْرَبِ
بمَقالٍ فاصِلٍ بيْنَ الرؤى نقَضَ القولَ برأيٍ أثقَبِ
أعْمِلوا العَقلَ فعَقلٌ قائِدٌ وابْعثوا الروحَ بنَصٍ أعْرَبِ
ولنا التأويلُ حقٌ واجِبٌ كلُّ عقلٍ فيهِ بعْضُ الأصْوَبِ
فابْعِدِ الإجْماعَ عن صَوْتِ النُهى ربَّما الإنسانُ فيها كالنَبي!!
أشرَقَتْ أنوارُ رُشْدٍ وارْتَقَتْ وربوعُ الرُشدِ جارَتْ بالسَبي
عَذَّبوا شَيْخاً جَليلاً سامِقاً أحْرَقوا فِكراً بنارِ الأجْدَبِ
حَشَدوا الناسَ لرَجْمٍ آثِمٍ أوْهَموهمْ بالضَلالِ الأكْرَبِ
هجَّروا روحاً أبيَّاً صامِداً واسْتعانوا بعَدوٍ أجْرَبِ
في "أليْسانةَ" تَوارى حائِراً زَنْدَقوا كَوْناً بنورِ الكَوْكَبِ
إنَّهمْ ماتوا وعاشَ بَيْننا إبنُ رُشْدٍ مُسْتهابَ المَنْقَبِ
في رسومٍ وسطورٍ إخْتَبتْ بجمانٍ مِنْ خَريدٍ أخْصَبِ
مِحْنةُ الأجْيالِ في سِفْرِ الألى سَبَقوها وبجيْلٍ مُشْغِبِ
فتراهُمْ لمَناراتِ المُنى قد تَنادَوا لافْتِراسٍ أسْغَبِ
وبها الدُنْيا أنالتْ شأوَها وتَماهَتْ بالبَقيلِ الخُلّبِ
أمّةُ الرُشْدِ برُشْدٍ أرْشِدي فرَشيْدُ القومِ حَقُّ المَنْصَبِ

تأثر به إبن رشد العربي القرطبي (1126-1198) ميلادية , وهو ثائر عقلي وفيلسوف لبيب , عمل جاهدا لإحياء العلوم العقلية , ورفع رايات يعقلون ويتفكرون ويتدبرون , فحاول التوفيق ما بين الشريعة والحكمة , وتحرير العقل من أصفاد التبعية , والإذعانية والخنوع والجمود

يُعدّ إبن مسرة من رواد الفلسفة والعلوم العقلية في بلاد الأندلس , وكان يحاول التوفيق بين الشريعة والفلسفة , وله منهجه في التأويل الذي كان يحسبه بحاجة لذوي عقول فاعلة , ترى باطن النص

يمكن القول أن إبن رشد خريج مدرسة إبن مسرة , والحامل لراية أفكاره وتصوراته ومحاولاته في التقريب بين الفلسفة الدين , وهذا قد يكشف عن منبع التوجهات الرشدية , التي تنسب إليه مقطوعة عن جذورها الأصلية

رابعا: هل إستعادت الأمة رشدها؟!!

سأتناول موضوعا فريدا , وفيه ما يثير الشك والمشاعر الأخرى الصعبة.

وينطلق من مفردات الواقع المغفول , أو المطموس قصدا , لكي يُطاح بوجود الأمة وإمتلاك إرادتها , وتسخيرها لتمرير مصالح الطامعين فيها والمتأسدين على دول الدنيا بواسطتها.

والسؤال الذي لم نطرحه خلاصته : مَن أيقظ العرب؟

أمة العرب ربما لم يكن لها دور حضاري وإنساني كبير قبل أن ينطلق بها محمد بن عبد الله المولود في مكة , ومن بعده الخلفاء الراشدون , والأمويون والعباسيون , ومن أدعى الإنتساب إليهم , وجميعهم من "مكة" , وإن ولد بعضهم في " المدينة " لكن أصولهم مكية.

أمة العرب ربما لم يكن لها دور حضاري وإنساني كبير قبل أن ينطلق بها محمد بن عبد الله المولود في مكة , ومن بعده الخلفاء الراشدون , والأمويون والعباسيون , ومن أدعى الإنتساب إليهم ,

فالواقع التأريخي والحضاري يشير بأدلة ساطعة , أن الذين أطلقوا طاقات العرب أبناء مكة والمدينة , وهم الذي سطروا تأريخهم وأرسوا دعائم وجودهم الحضاري المنير في آفاق العصور.

ومكة مدينة في أرض نجد والحجاز , والتي سميت بالسعودية سنة (1932) , فالقيادة العربية من هذه الأرض لا غير.

وجميعهم من "مكة" , وإن ولد بعضهم في " المدينة " لكن أصولهم مكية.

عليا أن نؤمن بأن الأمة ذات قدرات أصيلة على إنجاب الأفذاذ , وأجيالها محملة بموروثات النبوغ والإبتكار , وما أعلام حضاراتها إلا نجوم في فضاءات أكوانها الإبداعية الفياضة بالجديد , فهم رموزنا وعلى هداهم نسير , وبما يماثل عصرنا تلد أمتنا ما ينير !!

والدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية أدركت الحقيقية , وعملت على عزل المنطقة عن محيطها , ولهذا فالعلاقات بينها والدول العربية الأخرى كانت متعثرة على مدى أكثر من ثمانية عقود , فلو تأملتم علاقتها بمصر والعراق في القرن العشرين , لتبين بأنها سلبية , وتم إبعادها تماما عن التفاعل الإيجابي مع جيرانها.

وفشلت دول مصر والعراق وسوريا في قيادة أمة العرب , مهما حاولت بطرح أفكار قومية , وأحزاب وغيرها من التوجهات , وحتى الجامعة العربية لم تفلح في لمِّ شمل العرب.

واليوم تعود مكة بأرضها الفيحاء ودولتها العصماء , وقياداتها الشابة المعاصرة , لتعبر عن إرادة الأمة , وفيها مميزات ومؤهلات إقامة القوة العربية القادرة على النهوض الحضاري الوثاب في القرن الحادي والعشرين.

وهذا يعني أن العرب سيتفاعلون بإيجابية , وسيستثمرون بطاقاتهم وقدراتهم ويمثلون أمتهم , وسيشكلون كينونات إتحادية ذات تأثيرات إقليمية وعالمية.

والأمل كبير بأن الأمة ستنطلق في مسيرتها الراشدة القويمة اللازمة للحياة الحرة الكريمة , وعاشت أمة العرب عزيزة مهابة , فهل ستجري الرياح كما تشتهي السَفن؟!!

وفي الختام , علينا أن نؤمن بأن الأمة ذات قدرات أصيلة على إنجاب الأفذاذ , وأجيالها محملة بموروثات النبوغ والإبتكار , وما أعلام حضاراتها إلا نجوم في فضاءات أكوانها الإبداعية الفياضة بالجديد , فهم رموزنا وعلى هداهم نسير , وبما يماثل عصرنا تلد أمتنا ما ينير !!

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa394-161225.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com
*** *** ***

الكتاب السنوي 2025 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن عشر)

الشبكة تدخل عامها 25 من التأسيس و 23 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3

"مستند شرائح " باور بوانت -
http://arabpsynet.com/Documents/APN-2024.ppsx

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2025

رابط تحميل الكتاب من الموقع العلمي
http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf

رابط تحميل الكتاب من المتجر الإلكتروني
http://arabpsyfound.com/index.php?id_product=295&controller=product&id_lang=3